الأحد 20/1/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعين النووية

لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عَنْ أَبِي مُحَمّدٍ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيِ اللهُ عَنْهُما قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**)).

[حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ، رُوِينَاهُ في كتابِ الْحُجَّةِ بإسنادٍ صحيحٍ].

الإسلام أيها الإخوة يرقى بالإنسان المؤمن في درجات، وفي أول دخول المسلم في هذا الدين يطلب منه أن يضبط كلامه وفق الشرع، وأن يضبط أعماله وفق الشرع.

من يضبط كلامه وأعماله وفق الشرع على أصناف:

فمنهم من يفعل هذا وهو مقتنع، ومنهم من يفعله بدون اقتناع.

ومنهم من يفعل هذا وهو يحب أن يفعله، ومنهم من يفعله وهو لا يحب أن يفعله.

فإذا انضبطت أقوال الإنسان وأفعاله وفق الشرع رقى إلى أن يفهم عقله أوامر الله عز وجل، فيصير يعمل المسلم ويقول وفق الشرع، مقتنعاً؛ لأنه يدرس ويطلع ويسأل ويستفسر ويتبين ويراجع ويناقش فيقتنع عقله.

حتى إذا ازداد انضباطاً وتمسكاً بأقواله وأفعاله واقتناعاً بعقله وتطبيقاً لهذا الشرع؛ انتقل إلى أعلى الدرجات وهو أن يصير قلبه يحب أمر الله وقلبه يحب نهي الله، ويحب قضاء الله وقدره فتجده ينضبط بالشرع وهو يحب أن ينضبط، يصلي وهو يحب الصلاة، يترك الغش وهو يكرهه، يبر والديه وهو يحب أن يبر والديه، ويحب أمر الله في بر والديه، يبتعد عن النظر الحرام ويحب أن يبتعد عن النظر الحرام، ويجد ألماً في قلبه إن نظر للحرام.

مثل هذا الإنسان كمثل السمكة إذا كانت في الماء فرحت، وإن خرجت اختنقت وماتت.

فإذا كان في شرع الله وتطبيق أوامره فحياته كلها سعيدة، وإن خالف الشرع كاد أن يختنق، واستاء وشعر بضيق وكربات شديدات لا يستطيع أن يتحملها حتى يعود إلى الانضباط بالشرع.

وهذه أعلى الرتب، وهو أن يصير هوى ومحبة وميول الواحد فينا وفق الشرع، فيحب ما يحب الله ويكره ما يكره الله، ويرضى ما يرضاه الله، ويأبى ما يأباه الله.

كان أحد الصالحين ينشد ويقول:

الله أستاذي وكل الذي ... خط يراعي فهو أملاه

ما يرضيه يرضيني ... وما يأباه آباه

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي الغُصّة – يعني يزيد بن الحصين الحارثي– فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة– من صُفَّة النساء طويلة، في أنفها فَطَس–: ما ذاك لك. قال: ولم؟! قالت: لأن الله قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ الآية. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ، [تفسير ابن كثير].

وفي حادثة الإفك عندما أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ. . .﴾، [النور: 11] الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلَّهَا، قَالَتِ السَيِّدَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ-، وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [النور: 22] ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، [البخاري].

وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم بابنه معه. فقدم

فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال للمصري: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتيني، [ابن عبد الحكم].

فالمؤمن يحب أن يأمره الله ويمتثل لأمر الله.

المؤمن يحب صلاة الصبح من كل قلبه، أما أن يصلي الظهر على ثقل لأنه يكره أن يقطع عمله لأجل الصلاة فهذا ليس محباً لأمر الله.

نهى الله عن النظر الحرام فهو يعشق غض البصر، وإن أخطأ شعر بألم في قلبه، وضيق في نفسه، واضطراب في كيانه كله؛ لأن قلبه معلق بربه جل جلاله، ومعلق بكلام الله وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: **بَلَغَ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ** (وهو والي المدينة)، **عَنْ عَرِيفِ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، فَهَمَّ بِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، أَوْ قَالَ: مَعْرُوفًا، اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ))، فَأَلْقَى مُصْعَبٌ نَفْسَهُ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَأَلْزَقَ خَدَّهُ بِالْبِسَاطِ، وَقَالَ: أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، فَتَرَكَهُ،** [الإمام أحمد].

أما أن يكون مسلماً وتراه عند الأمر والنهي لا يأتمر ولا ينتهي، ولا يراعي حراماً ولا حلالاً، ثم يقول: أنا أحب الله ورسوله، فلا تؤمن إيماناً كاملاً حتى يصير ما تحبه نفسك ويميل إليه قلبك، ويرغبه طبعك وفق شرع الله عز وجل.

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشاً إِلَى الرُّوْمِ، فَأَسَرُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِم، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ، وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟

قَالَ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيْعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيْعَ مُلْكِ العَرَبِ مَا رَجَعْتُ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

قَالَ: إِذاً أَقْتُلُكَ.

قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: ارْمُوْهُ قَرِيْباً مِنْ بَدَنِهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ، وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيْهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ المسْلِمِيْنَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيْهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ بَكَى.

فَقِيْلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ بَكَى.

فَظَنَّ أَنَّه قَدْ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوْهُ، مَا أَبْكَاكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُوْنَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النَّارِ فِي اللهِ.

ثُمَّ جَعَلُوا لَهُ فِي بَيْتٍ مَعَهُ الخَمْرَ وَلَحْمَ الخِنْزِيْرِ ثَلاَثاً لاَ يَأْكُلُ، فَاطَّلَعُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: قَدِ انْثَنَى عُنُقُهُ، فَإِنْ أَخْرَجْتَهُ، وَإِلاَّ مَاتَ. فَأَخْرَجَهُ، وَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ؟

قَالَ: أَمَا إِنَّ الضَّرُوْرَةَ كَانَتْ قَدْ أَحَلَّتْهَا لِي، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُشْمِتَكَ بِالإِسْلاَمِ.

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي، وَأُخَلِّيَ عَنْكَ؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: وَعَنْ جَمِيْعِ الأُسَارَى؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ، فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، فَخَلَّى لَهُ مائَةً، وَخَلَّى سَبِيْلَهُ. [سير أعلام النبلاء].

فأنت إن صار هواك تبعاً لما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأصبحت غالياً جداً والملوك تطلب ودك.

الكمال العقلي والروحي والاجتماعي والدنيوي والأخروي في شرع الله عز وجل.

كيف لأحدنا أن يحب من قلبه ما يأمر به الله؟

1- الإكثار من ذكر الله تعالى:

فاذكروا الله ذكراً فردياً وذكراً جماعياً.

اجعل لك في كل يوم على الأقل نصف ساعة تجلس فيها ذكراً لله تعالى؛ لأن من أكثر من ذكر شيء أحبه، أما أن يكون مسلماً لا يذكر الله وليس له وقت للذكر، فإن هذا سيقسو قلبه وسيصبح لا يفهم على الله أوامره ولا نواهيه.

2- الالتحاق بمجالس العلم والعلماء:

المؤمن يحب مجالس العلم، ويشعر في المسجد وكأنه سمكة في الماء، ولا يحب الخروج، أما المنافق فيشعر بنفسه كالعصفور في القفص.

فليمتلئ عقلك الأرضي، وقلبك الجسمي بنور الله فلا بد لك من مجالس العلم، أما إذا لم يكن لديك علم فأنت في جهل وإن كنت في جهل فلن تفهم عن الله أوامره، ولا نواهيه، ولعلك لا تحب أن تفعل أي أمر يأمر الله به أو أي نهي ينهاك عنه.

إن الجهل عدو العلم، والله عليم وأوامره عن علم وحكمة وكمال.

3- الصحبة:

إذا كان أصحابك أعداء لله عز وجل فيستحيل أن تحب الله أو أوامره؛ لأنك تجالس أعداء الله وهذا دليل أنك في صف من يعادي رب العالمين.

إذا كان أصحابك لا يأتمرون بأمر الله، ولا ينتهون عن نهي الله، ولا يذكرون الله لا كثيراً ولا قليلاً، بل ربما كان الواحد منهم -والعياذ بالله- يتكلم كلاماً في حق حضرة الله تعالى يوصله إلى الكفر، فلن تصل إلى حب أوامر الله بل ستزداد بعداً منه.

من المعلوم: أن **حبيب العدو عدو، وحبيب الحبيب حبيب** فإذا أردت أن تكون محبوباً لله فعليك أن تحب أوامره ونواهيه، فصاحب وجالس من يحبون أوامر الله ونواهيه، ومن يحبون الله وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فتصيبك منهم العَدْوَى.

قال العلماء: **عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد والطبع يسرق من الطبع.**

فانتبه إن جليسك إما أن يحرقق وإما أن تصيبك خيراته.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))**.

[البخاري ومسلم].

هناك ملاحظة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((مَثَلُ الْجَلِيسِ))**، ولم يقل مثل الصاحب هذا لأن الصاحب ربما يكون من تصاحبه من عشرة سنوات، أما الجليس فيمكن أن تكون قد جالسته جلسة واحدة.

روى الإمام الشافعي حديثاً فقال له رجل: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فنظر إليه وقال: متى ما رأيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب.

أخرجوا عن الرُبيّع قال: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت.

وسئل رجل الشافعي عن حديث فقال: هو صحيح، فقال له رجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقلت بغيره؟

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: (**كمال المعرفة بالله الأخذ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته، وهذا القامع للنفس، قال الله تعالى:** ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، [القصص :50])).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**أبْغض إِلَه عبد فِي الأَرْض عِنْد الله هُوَ الْهَوَى**))، [الطبراني].

3قال الشيخ سعيد النورسي في مكتوباته: (**إن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح**).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.